

النشاط الثقافي في الوطن العربي

ج ٢٠٤

رسالة القاهرة :

عروبة مصر ..

انتصار جديد لفكرنا القومي
يفرض واجبات جديدة !

الحقائق ، وتقدم مناهج تبويب الحقائق (المعلومات) ومقارنتها وتحليلها واستخلاص النتائج منها . ومنذ أسفر ذلك التقدم - في تاريخ الفكر الانساني - عن المناهج الموضوعية ، والعلمية ، أو المتشبهة بالعلم - كفت أمثال تلك الرؤى عن التجلي في أشكال أبنية « فلسفية » متكاملة ، وان ظل الكثيرون من المتفلسفين يكشفون عن « رؤى » جديدة ، في عوالم الميتافيزيقا أو الجمال أو النفس ، وليس في عوالم السياسة والتاريخ وقوانين حركة المجتمع . كف المفكرون عن ذلك لأنهم عرفوا أنهم لو حاولوه لكانوا كمن يحاول اخماد النار بنسيج عنكبوت .

بقلم سامي خشبة

وتحولت نفس تلك الرؤى - أو شبيهاتها الجزئية الجديدة - الى لغة الفن بدلا من لغة الفكر والتفلسف . لقد أصبح للفلسفة لغة أخرى، وأصبح للفكر ، خصوصا في مجال الانسانيات عموما ، وعلوم السياسة خصوصا، منهج مختلف ولغة أخرى ، تميزا بالموضوعية والحرص على الاستفادة من منجزات العلم في مجال جمع الحقائق .. الخ ، لمحاولة التوصل لا الى « ابنية فكرية شاملة منطلقة من فرضيات مجردة عامة » وإنما الى انعكاس للمعنى العام لتفاصيل الحقيقة المكونة من آلاف دقائق التاريخ والاقتصاد والجغرافيا والثقافة ... اي آلاف الدقائق التي يتكون منها نسيج « المجتمع » الانساني في وحدته وفي تنوعه ، وفي حركته الدائبة الخلاقة .

وذلك ، لان « هذا » الفكر ، أصبح يعرف انه قد لا تكون له أية قيمة ، ما لم يكن همه هو الحل العملي للمشكلات « الفعلية » لا الوهمية ، للحياة ، ولحياة « مجتمع » الفكر (طالما هو « يفكر » في قضايا هذا المجتمع السياسية وليس في مسألة فردية خاصة) وما لم يكن هدفه هو الطريق الصحيح - ثم اقتراح أسلوب التصدي الناجح - لقضايا الواقع ، مستندا الى ما سبق أن « جمعه وبوبه وحلله .. الخ » من حقائق ، اي من « معلومات » .

.. كأنما كتب على الفكر في مصر ، أن يظل أسيرا للدائرة المفرغة التي تصنعها أسئلة البحث عن البديهيات، واعادة طرح ما أثبت التاريخ انه من المسلمات ، وتحويله من جديد الى معضلة . وقد يكون - وأحيانا ما يكون - اعادة التفكير في البديهيات هو الواجب الذي يمليه العقل ويستوجبه الضمير الحي - للمفكر ولاي انسان ، اذا كان الفكر أو العلم - وكلاهما الآن وجهان لعملية واحدة للذهن والعمل الانسانيين - قد طرحا « حقائق » جديدة تستوجب التفكير الجديد والمراجعة . ولكن ، كأنما كتب على الفكر في مصر ، حتى في مجال التخصص السياسي ، أن يظل خاضعا لتقلبات المنهج التأملي - أو حتى مجرد نزوات التأمل الفردية ، بولعها الشديد بتركيب ابنية من المقولات التي لا يكون لها عادة أي دلالة في الحقيقة الواقعية ، الا على ما تدل عليه من خيالات في ذهن صاحب البناء أو النزوة التأملية . (وفي عالم السياسة والفكر التاريخي والاجتماعي ، تكون الحقيقة الواقعية هي التاريخ الاجتماعي والحضاري للشعوب ، ومستقبلها ، ووقائع الجغرافيا البشرية والمكانية والاقتصادية ، والنسيج الحي للثقافات) .

كان من الممكن لمثل تلك الابنية - وحتى النزوات - التأملية في الماضي ، أن تكون نتاجا لتحول تجارب عقول جبارة الى رؤى عامة وشاملة ، عرفت بأنها « الفلسفة » في مرحلة كبيرة وخصيبة من تطور الفكر الانساني . وكانت هذه الرؤى ضرورية - مع كل تجربة عظيمة تحولت الى بناء محمل بالرؤية الشاملة - لتقدم « الفكر » الى مستوى « البحث العلمي » ، مع تقدم مناهج واساليب البحث عن الحقيقة ، ووسائل جمع وتراكم

وهذه ، بديهية : مسلمة من المسلمات التي أفرزها
تطور تاريخ الفكر الانساني الحديث .

وهناك بديهية أخرى : لقد حاول كثيرون ، بدوافع
مختلفة وتحت ضغوط متنوعة (من الاهواء والنزوات ،
أو من الجهل أو من النفاق أو من الحماسة ، أو من مجرد
الادعاء) أن يعثروا لمقولات وهمية ، على أسانيد من
تفاصيل حقيقية متناثرة ، أو أن يحولوا كميات من
« الاوهام » والخرافات ، الى مستوى الحقائق ،
والنظريات « العلمية » عن طريق تركيبها في سياق
« لغة علمية » مرصعة بمصطلحات معروفة أو مبتكرة ،
وترتيب خلاب ومخادع (وكثيرا ما وقع « العلميون »
أنفسهم في هذا الخطأ ، فخدعوا أنفسهم ، بسبب
نسيانهم الارتباط بالنسيج الحي للواقع الذي يريدون
التعامل معه ، واكتفائهم بالتعامل مع الاشياء والنظائر ،
حاسبين ان مقارنة الاشباه ، تفني عن المعرفة الحقيقية
بكل شبيه ، أو ان ما يستخلص من تاريخ حضارة
واحيدة يسري بالضرورة على كل الحضارات ، كأنما
« تضاريس » التاريخ العظمى ، شبيهة بظواهر الطبيعة
البيسة !) .

وهؤلاء يتميزون دائما بميزتين : نسيان ما حدث
في الماضي لمحاولات مشابهة ، منذ سيمون الساحر
منافس المسيح ، الى مسيلمة الكذاب مدعي النبوة ، الى
« فلاسفة » الحركة النازية ومفكريها الملقين ، ثم محاولة
« مواكبة » العصر ، باستخدام لغة « حديثة » متلائمة
مع مزاج اللحظة التي يخاطبون أهلها ، مع اجتزاء
المعلومات المتناثرة الصحيحة ومزجها بأقوال تشير الى
« حقائق » وهمية ، لاستخلاص النتيجة المطلوبة مع
تجاهل كامل للوقائع الصحيحة التي تؤيد « الحقيقة »
المطلوب طمسها ، واحلال « الوهم » محلها .

ولأن الفكر (والفكر السياسي خصوصا) في
مصر ، قد واجه طويلا ، وما يزال يواجه ، ضغوط
النوعين من النزوع الى حرمان العقلية المصرية من أسلحة
معرفتها الموضوعية بحقيقتها التاريخية ، وانتمائها
الحضاري ، وهويتها القومية « الفعلية » ، ولأن محاولة
حرمان العقلية المصرية من هذه الأسلحة ، ليس مجرد
حوار « تأملي » وإنما هو دعوة سياسية ، تهدف الى
اقامة وضع سياسي معين تبتعد فيه مصر عن معارك
وقضايا امتها العربية : لهذين السببين ، يتضح مغزى
هذا الكتاب : « عروبة مصر ، حوار السببونات »
وتضح أهميته .

ورغم ان الكتاب صدر في القاهرة ، وتحت عنوان
يشير الى الاهتمام بالانتماء القومي لمصر أساسا ، وفي
توجه الى القارئ في مصر بالدرجة الاولى ، ففي يقيني
ان هذا الكتاب يهم كل مواطن عربي من أقطارنا الاثنتين

والعشرين : على أساس ضرورة تجميع وتحليل كل
أدبيات الفكر القومي العربي ، وانشاء نوع من « موسوعة »
شاملة لأعمال هذا الفكر التي ساهمت في بنائه (في طرح
ودراسة الحقائق المختلفة لقضايانا القومية) .
وفي يقيني ان عملا من هذا النوع ، مع شموله لاصول
وخلاصات « الاعمال » المتضاربة مع النظرية القومية
بتجلياتها المختلفة ، يعدّ عملا ضروريا من الاعمال الاولى
لتوضيح معالم اطار الوجود القومي للامة العربية ،
والاسس المميزة الدافعة لهذا الوجود وملاحه واتجاهاته
الخاصة ، الناشئة من طبيعة التناقضات ، وتبادل تأثير
تلك التناقضات (ومواقعها) التي برز هذا الوجود ذاته
من خلالها (التناقض مع قوميات عنصرية مسيطرة ،
التناقض مع الامبرياليات الغربية ، التناقض مع مصالح
طبقات وسطى وفئات اقطاعية وقبلية محلية ، التناقض
مع التصورات الشوفينية المحلية والاقليمية ، التناقض
مع التصورات الجامدة للماركسيين المدرسيين ، التناقض
مع الاستعمار الجديد والشركات المتعددة الجنسية ،
التناقض مع اسرائيل (الصهيونية) أداة الامبرياليات
الغربية وحليفاتها ، التناقض مع استراتيجيات الدول
العظمى وما تفرضه من تقسيمات لصالح قوى غير
قومية ، التناقض مع القوى السياسية (الاجتماعية)
العاجزة عن ابصار حقيقة التلازم بين الثورتين :
القومية والاجتماعية والترابط بين القوي التاريخية
القادرة (والتي من مصلحتها) تحقيق الهدفين معا ،
سويا أو بالتتابع ، وعلى دفعات بالضرورة) . ثم ان عملا
من هذا النوع (موسوعة الفكر القومي العربي) يعدّ
واحدا من الاسس اللازمة لدفع عمل القوي القومية
ذاتها الى الامام (بمزيد من الوعي ومن توضيح الوعي)
والى الوحدة .

صدر الكتاب عن « مركز الدراسات السياسية
والاستراتيجية » بمؤسسة الاهرام في مصر ، وأشرف
عليه الدكتور سعد الدين ابراهيم ، لكي يضم كل ما كتب
في مصر أساسا ، وفي بعض الاقطار العربية الاخرى ،
حول الدعوة الى « حياد مصر » التي أطلقها الاستاذ
توفيق الحكيم ، وحول مسألة الانتماء القومي لمصر ، التي
أثارها الدكتور لويس عوض في غمار المناقشة لدعوة
« حياد مصر » . ويضم الكتاب ، بالإضافة لـ « وثائق »
المناقشتين ، دراسات تحليلية (بعد التقديم الذي كتبه
الدكتور سعد الدين ابراهيم) بأقلام ستة من الكتاب
المصريين ، لتحليل اتجاهات الكتاب المشتركين في
المناقشتين ، والمواد المعرفية التي استخدموها ، وتحديد
معالم القضايا التي أثيرت في المناقشتين ، والرد أو
التعليق على كثير من الآراء ووجهات النظر التي أبداها
الكتاب فيهما .

لكل منها) التي تبدو أحيانا بلا أصول ، أو توحى بأن أصحابها قد غيروا فجأة أصولهم ومصالحهم وانتماءاتهم : - هذا الركام من الفوضى والتداخل والعجز والمنع ، هو الذي هيا الفرصة لاعادة طرح مسألة الانتماء القومي لمصر مرة أخرى (معطيا لفكرة الحياد والتخلي : ولفكرة العزل والمقاطعة معا ، أساسا « أصوليا » مختلفا يجعل الفكرتين تبدوان وكأنهما من طبائع الاشياء) .

خطورة المفزى الذي يمثله طرح موضوع هوية مصر القومية ، من خلال طرح « فكرة » حياد مصر :

ان تدعيم فكرة تدعو لموقف سياسي « شكلي » بأساس نظري يحاول أن يصوغ حركة التاريخ على أساس معطيات وهمية (من نوع الاساس العرقي الواحد للقومية الواحدة ، والوظيفة الحضارية تنفرد بها شعوب معينة على اساس تفوقها العرقي الموروث .. الخ) أمر له خطورته الفكرية والاستراتيجية في النهاية ، في اللحظة التي تبدي فيها فئات طبقية معينة في بعض الاقطار العربية استعدادها اما للتنصل من الجامعة القومية للامة ، واما لادعاء انها القطاع « الاكثر رقيا » والاكثر جدارة بالقيادة أو بالصدارة في الامة .

ولكن هذه الخطورة لا تعادل خطورة طرح مثل هذا « التدعيم » النظري الوهمي لفكرة الحياد ، وتقديمه طعاما ايدولوجيا لبعض الفئات الطبقية في بعض الاقطار العربية ، بهدف - بوعي أو بغير وعي ، أو بنوع أو بآخر من « الوعي » - توجيه الحركة التاريخية لاتجاه التفاعل القومي للامة العربية ، الى وجهة مناقضة لاصول هذه الحركة نفسها ، بل ومعادية لها في النهاية . لقد اتخذت الحركة التاريخية للتفاعل القومي العربي - في اطار الحركة العالمية للتحرر الوطني منذ أوائل القرن - طبيعة مختلفة كل الاختلاف عن طبيعة الحركات القومية الاوروبية واليابانية - التي تخلصت بسرعة من اطرار « التحرر » من قيود العصور الوسطى (الدينية ، والاقطاعية ، والتجارية المحلية ، والامبراطورية .. الخ) لكي تتحول بسرعة أيضا الى حركات استقلال محلي « متطور ومركز » ، وقهر قومي واستعلاء عنصري يدعم - نظريا - الاستقلال والقهر . ان تحول التفاعل القومي العربي ، من جزء من « حركة التحرر الوطني » مندمج تماما بحركة الثورة الاجتماعية ، الى حركة تملكها طبقات وسطى وفئات « قبلية - اقطاعية » متنوعة ، مرتبطة باستراتيجيات الامبريالية العالمية ، وتغذيها الايدولوجيات الغريبة ذاتها عن الوحدة العرقية والاختصاص بالرسالة الحضارية والحصول على « قوة عالمية » .. الخ ، لن يعني في النهاية الا امداد نظام عالمي يسرع الى الانهيار ببعض الدم الجديد ، وتحويل

اشترك في الحوار الاساتذة : توفيق الحكيم والدكتور حسين فوزي والدكتور لويس عوض وأحمد بهاء الدين والدكتور وحيد رافت ويوسف ادريس والدكتورة بنت الشاطيء وأحمد حمروش والدكتور محمد اسماعيل علي ورجاء النقاش والدكتور حسين فوزي النجار والدكتور ابراهيم علي صالح والدكتور عبد العظيم رمضان والدكتور ميلاد حنا ومحمد أحمد فرغلي . وكتب الدراسات التحليلية ، الاساتذة : السيد ياسين والدكتور أحمد يوسف أحمد وخيري عزيز وعبد المعاطي محمد أحمد وجهاد عودة وهاني المداوي .

وليس المهم هو ان الكتاب ، يمثل التجربة الاولى في العالم العربي لتجميع « وثائق » مثل هذا الحوار ، وتبويبها ودراستها من منظورات مناهج موضوعية واساليب شكلية مختلفة للبحث . فعي يقيني ان الآلاف من المثقفين العرب ، يملكون الآن في منازلهم « مكتبات » كاملة - أو تسعى للتكامل - من أعمال الفكر القومي خلال الاعوام الخمسين الاخيرة ، ومن الطبيعي ان المئات من هؤلاء ، يملكون في اذهانهم ، أو كتبوا ونشروا ، محاولات لرصد مساحات معينة من أعمال الفكر القومي ، أو للرد على أعمال الفكر المتضارب مع حقيقتنا القومية .

ولكن أهمية الكتاب تنبع من مجموعة من العوامل :

اللحظة التي أثرت فيها المناقشة .

اللحظة التي وصل فيها الاختلاف حول « التكتيك » العربي في مواجهة القضية القومية ، الى درجة من الحدة ، جعلت التناقضات العربية الداخلية ، تبدو كأنها أكثر عدائية وتجذرا من التناقضات الرئيسية في هذه المرحلة بين الامة العربية وبين أعدائها . فطرحت - وسط فوضى الرؤى والمواقف ، أفكار عن « العزل » أو « المقاطعة » من ناحية ، وعن « الحياد » و « التخلي » من ناحية أخرى . وبينما ظلت أفكار العزل والمقاطعة في اطار التحليلات السياسية والشعارات أو حتى (على الاكثر) في حيز المواقف « المخترنة » أو الاحتياطية ، حاولت أفكار الحياد والتخلي - لاسباب تاريخية موضوعية ومرحلية ذاتية كثيرة - أن تجد لنفسها مبررات من القانون الدولي مرة ، ومن التحليلات التاريخية الوهمية مرة أخرى ، ومن التشبيهات المبتسرة البلهاء مرة ثالثة ، أو من أوهام المحافظة على « متحف للحضارة ومخزن للطاقة العربية » مرة رابعة . ولكن فوضى الرؤى والمواقف والتكتيكات - مع عجز الفكر العربي - أو منعه - من ملاحقة وتوضيح المواقف والتكتيكات (ودراسة الاصول التاريخية الاجتماعية

حركة القومية العربية من حركة لتحرير شعوب العالم الى حركة اداة - او حتى مشاركة - في قمع عملية التحرير العالية وتمويقها .

وقد يكون من المفيد الآن أن تدرس تكتيكات الغرب وأساليب مناهجه الايديولوجية والاستراتيجية (بعد هزيمة فيتنام ، وحرب أكتوبر ، وازمة الطاقة والنقد الغربية ، وصعود حركات التحرير الافريقية ، وتصاعد القوى الديموقراطية في أوروبا الغربية) لاحتواء واعادة توجيه الفئات القائدة اجتماعيا في دول العالم الثالث - التي تولت منذ الاربعينات والخمسينات قيادة حركات التحرر الوطني ، ثم لتصفية النظم « الموالية » العتيقة ، واقامة نظم « موالية » ذات اشكال حديثة بل وليبرالية .

انكشاف هزال الليبرالية المصرية ، وعجزها عن

التطور ، حتى من المنظور العلماني (الفكري) المجرّد ، بالإضافة الى اختفاء كل من الماركسيين المدرسيين ، والسلفيين التقليديين من ميدان المناقشة في قضيتين - سياسية وايديولوجية - كانتا من « تخصصاتهما » في الماضي .

لقد تولى طرح فكرة الحياض ، ثم وهم التمايز القومي العرقي للشعب العربي في مصر ، ثلاثة من الجيل الاخير من الليبراليين المصريين : توفيق الحكيم والدكتور حسين فوزي ، ثم الدكتور لويس عوض .

وباستثناء الدكتور وحيد رافت ، وهو من نفس الجيل ومسن الزعماء السياسيين والمفكرين القانونيين لنفس الليبرالية المصرية ، والدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطيء) من جماعة « الليبراليين السلفيين » ان صح هذا المصطلح ، كان جميع من تولوا الرد في خلال المناقشة المفتوحة والدراسات التحليلية التي كونت صلب الكتاب وشكلت « المناقشة المنظمة » ، من اجيال اخرى جديدة ، انتماؤها السياسي قومي ديموقراطي ، وموقفها الايديولوجي تاريخي اجتماعي علمي ، يضرب بجذوره واجتهاداته في ارض اخرى غير مجرد سطح الليبرالية الغربية .

ولكن ما يهمننا هنا هو عجز الفرسان الليبراليين الكبار الثلاثة ، الذين طرحوا موضوعات المناقشة من بدايتها ، في هجوم على التزام مصر القومي ، ثم على انتمائها القومي الاساسي ، عن تقديم حجج « أصلية » او حتى عن الاستناد الى منطلقاتهم الفكرية الاصلية القديمة . ففي فكرة الحياض ، والدعوة الى التنصل من التزام مصر القومي ، كان « أعمق » جوانب المناقشة ، هو الكلام العاطفي عن رسالة مصر الحضارية (كأنما ليس لدى الاقطار الاخرى عطاء حضاري) أو المباحث

القانونية ، المنقولة عن مصادر مدرسية غربية ، والمجردة ، عن طبيعة الحياض القانوني والحياض الفعلي ، والتشبيه المضحك بسويسرا أو النمسا أو السويد ، دون أي محاولة للمقارنة بين جوانب متغيرات أي مثال من أمثلة الاولي المحايدة التي تحدثوا عنها ، أو مصر ، المطالبة عندهم بالحياض .

وفي فكرة تمايز مصر القومي والعرقي ، خرج الدكتور لويس عوض عن كل ميراث تاريخه الشخصي الايديولوجي القديم (منذ الماركسية التقليدية الى كل انتماءاته التالية) . ولكن اختياره « الايديولوجي » الجديد - في هذا الموضوع - كان مذهلا في تناقضه مع كل تراثه « الثوري » أو « الليبرالي » . فقد وقع ببساطة - ودون تمهيد - على مخزون معتق من أسوأ نظريات التكوين « العرقي » للشعوب القديمة ، كانت آخر منتجاته الرديئة هي تجربة الفكر النازي بالذات ، بالإضافة الى خلطة كبيرة من المعلومات غير الصحيحة ، والترتيب المخصوص لمعلومات اخرى جزئية ، والاحكام العامة التي تدحضها أبسط المعلومات من أي « أرشيف » مكتبة تراث الفكر القومي العربي والتاريخ العربي القديم والحديث والمعاصر ...

وقد تستحق هذه النقطة عودة اخرى تفصيلية الى مأساة الليبرالية المصرية ، وما انتهت اليه .

ان كتاب « عروبة مصر » أكثر تنوعا في موضوعاته وغزارة في مادته من أن يلخص هنا ، وأحسبني قد عرضت لعدد من الآراء والافكار الاساسية التي وردت به في السطور السابقة . ولكنني أحب - قبل اختتام هذه الرسالة - أن أبرز من جديد أهمية ما نبه اليه الكتاب من ضرورة جمع تراث الفكر القومي العربي في موسوعة واحدة ، تشمل التاريخ ، والجغرافيا ، والفلسفة ، والظواهر السياسية من أحزاب وتجمعات وأحداث ، والشخصيات ، والثروات والعمليات الاقتصادية ، والتشريع ، والمنظمات الدولية ، والاعمال العسكرية ، والادبيات السياسية المختلفة . الخ . فقد كان الكتاب ، ثمرة هامة لمناقشة لا يمكن التقليل من أهميتها ولا تحتاج الى تأكيد خطورتها ، وأقل ما نهت اليه المناقشة في حد ذاتها ، هو ان قوى العمل القومي العربي لا تفتقر الى العقول ، ولا الى الجماهير . انها تحتاج - في مرحلتنا الراهنة على الاقل - الى أن تعرف ، بيقين ، ما تملكه من ثروة ، وان ربط معرفتها بثروتها ، وتنظيم هذه الثروة ، هما الشرطان الاوليان لوحدة المعرفة ، والفكر ، والعمل .

القاهرة

رسالة دمشق - رياض عصمت

يبدو ان دمشق في هذا الشتاء البارد تتدفأ على حطب الثقافة ، وان الادب والفن يشيعان في جسدها البارد شيئاً من الحرارة والحيوية . دفعة واحدة احتضنت دمشق شاعرين عربيين كبيرين : محمد مهدي الجواهري من العراق ، ومحمود درويش من فلسطين . ودفعة واحدة شهد جمهور دمشق عرضين مسرحيين جادين بمستوى فوق المتوسط ، أولهما مسرحية « راشومون » ذات الاصل الياباني ، وثانيهما مسرحية « انسوا هيروسترات » السوفياتية . أما في مجال الفن التشكيلي فقد ازدهت « صالة الشعب » التابعة لنقابة الفنون الجميلة بلوحات الفنانة الايطالية لورانتا انتولا . بينما ازدهمت دور العرض السينمائية بالاحتفال باليوبيل الذهبي للسينما السورية ، بمهرجان للسينما السوفياتية كان باهتا بعض الشيء هذا العام على غير العادة - باستثناء فيلم « السفينة البيضاء » عن قصة لايتاتوف ، وبمجموعة متفرقة من الافلام المقبولة والجيدة ، أهمها « ماندينغو » للمخرج ريتشارد فليشر ، وفيلمين عربيين مقتبسين عن أعمال أدبية : « قطعة على نار » عن مسرحية تينيسي ويليامز ، و « اذكريني » عن رواية المرحوم يوسف السباعي « بين الاطلال » وكلاهما من سيناريو د. رفيق الصبان . كل هذا يجري والوفود بين القطرين الشقيقين العراق وسورية تأتي بالتبادل ، وكان أن استضافت دمشق فنان المسرح العراقي الكبير يوسف العاني، كما استضافت بغداد نجمتنا منى واصف .

ازمات الثقافة

رغم هذه الصورة التي تدعو للتفاؤل ، ما زال المثقفون في سورية « يضعون أيديهم على قلوبهم » ، فالوضع الثقافي عرضة لهبوب العواصف ، لان النظرة الى الثقافة مرتبطة أشد الارتباط بالسياسة ومتغيراتها الراهنة ، بحيث تصبح ضحية للصراعات الجانبية ، للنزعات الاعلامية ، والتحزبات . لكن شيئاً من التحسن طراً مؤخراً ، ربما كان هذا نتيجة طبيعية لاعتراف الطرفين (السلطة والادباء) بالحفاظ على هامش معقول

من الحرية بمسد تكاتف الكتاب ازاء بعض القرارات الغاشمة الصادرة بمنع بعض الادباء عن ممارسة دورهم الكتابي . في السابق تعرضت عدة مسرحيات للالغاء في آخر لحظة (مثل : « توراندوت » لبرشت ، « ليل العبيد » لممدوح عدوان ، « عراضة الخصوم » لعلي عقلة عرسان ، و « حبظلم بظاظة » لخورشيد) ، وذلك بعد ان نالت الموافقات الرسمية وانفق عليها من الجهد والنققات الشيء الكثير . وفي السابق أنتجت مؤسسة السينما عدة أفلام قصيرة وطويلة ظلت في علبها ولم تعرض للجمهور ، الا ان بعضها أفرج عنه بعد طول انتظار ، مثل « اليازلي » لقيس الزبيدي ، و « السيد التقدمي » لنبيل المالح ، بينما ظل بعضها حبساً حتى الآن ، مثل « الحياة اليومية في قرية سورية » لعمر أميرلاي ، وفيلم عن احياء دمشق الفقيرة لروان حداد . وبدلاً من الاجراء الرقابي العادي بحذف مقال ما كاد الامر أن يتطور لحذف كاتب ما . لكن هذا قد تضاعف الآن .. وعادت الرقابة الى حالها الطبيعي وهامشها المعقول .

ان الفن والادب بوجه عام يتعرضان لازمة عندما تسعى السلطة لتدجينهما ، كما يتعرضان لازمة مماثلة حين تكون الروح السائدة عدائية من قبل مثقفين يفترض فيهم أن يكونوا اول المدافعين عن الحرية . النتيجة هي ان المبدع الحر يصبح عرضة اما لأن يصنف ضمن المعارضة وبالتالي يحجب في الظل ، أو لان يصبح عرضة للاتهامات من قبل زملاء تقديمين يلعبون دور الرقيب السياسي من خلال حرفية وميكانيكية في التطبيق الايديولوجي بشكل جدانوفي جامد .

قد يبدو هذا الوضع « كافكاويا » بحيث أنهم من قبل بعض « المبررين » بالتأثر الثقافي بنزعات الاغتراب والقلق والمعاناة التي لا علاقة لنا بها في مجتمعاتنا العربية المتحضرة حيث تحترم حرية الانسان وكرامته ، وتتوفر له فرص العيش والعدل الاجتماعي ، ويحكم على المرء لا بطقته أو بنفوذه أو بتحزبه أو بعشيرته ، وانما بذكائه وعلمه وموهبته وقدراته . حسناً ، لن نضيع مزيداً من الوقت ، بمناقشة اذا كان هذا منحصرأ بالمجتمعات الرأسمالية ، أم بالمجتمعات اللارأسمالية واللااشتراكية التي ورثت - ربما - مساويء النظامين . ولنعتبر الكلمة على حد قول ماياكوفسكي : « ليس المسرح مرآة عاكسة ، وانما هو عدسة مكبرة » .

وفاة فنانيين كبيرين :

لكن دمشق التي انتعشت بدفع الثقافة والفن في هذا الشتاء تدفأت في الوقت نفسه بصمت كالأميرة على جسد محترق لفنان عظيم رحل عنا مؤخراً هو لؤي كيالي .

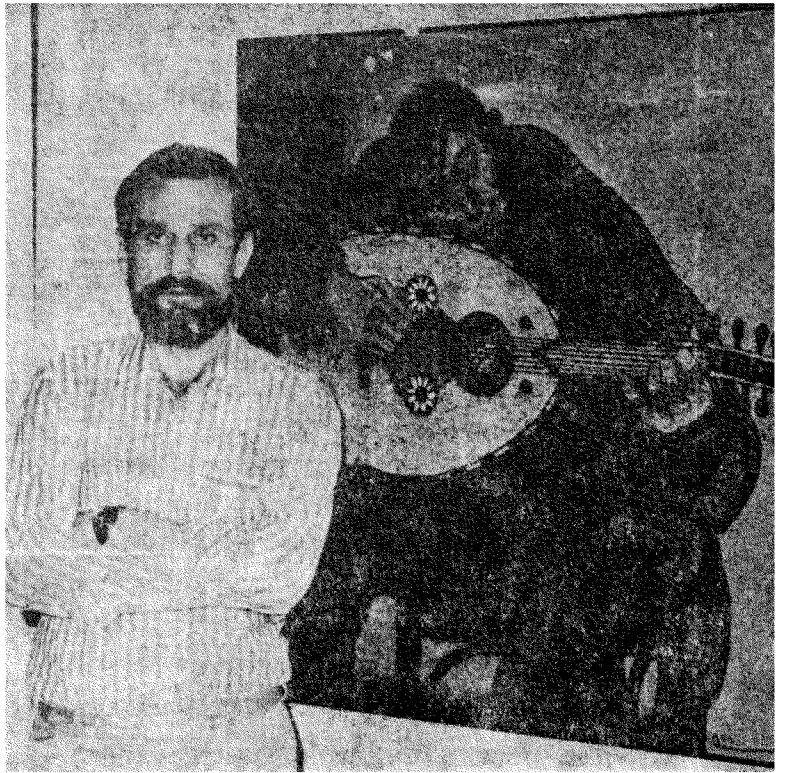
الجنون . وبين صححة مؤقتة ومرض مرهق ظل لؤي يخرج ويدخل المصحات . ويرسم . ازداد التصاقا بهموم الفقراء والمسحوقين ، ووجد فيهم صورة الانسان : وجدها في صيادي الاسماك ، وبائع ايانصيب ، وعازفي الموسيقى ، وقراء الصحف ، ووجود الاطفال الجوعى . لم يرسم الشخصيات البورجوازية . ولم يتاجر بفنه . بل عاش قضيته بدمه واحساسه وجسده . كم مرة مزق لوحاته في غمرة اليأس ؟ كم مرة باع اعماله في أزمة الاحباط ؟ كم عانى من الفقر وأزمة السكن وهو الفنان الذي نذر نفسه لامته ، والذي كان يعيد أزمته النفسية صادقا الى عوامل فشل الثورة والوحدة العربيتين . في آخر معارضه عام ١٩٧٤ لقي الكيالي نجاحا هائلا حسن وضعه الصحي والنفسي وجعله - كما قال - يمر بلحظات صفاء لا تصدق . الا ان صحته لم تكن لتصلح ، فقد كان أدمن العلاج بالحبوب المهدئة ولم يكن يأكل سوى ساندويشة واحدة وفنجان قهوة في اليوم ولفترة طويلة ، بينما يقضي بقية الوقت في النوم بتأثير الحبوب هربا من واقع محبط . وتراجعت صحته ، وهبط وزنه هبوطا مريعا ، الى ان كان يوم الحادث الاليم . امتدت النار من سيجارته وهو نائم مخدر فأحرقت الدار وشوهت جسده تشويها مفاجعا . وبذلت الجهود هذه المرة على جميع الاصعدة لانقاذ الفنان الكبير ، وظل قيد المعالجة الدقيقة حوالي شهرين ، لكن الجسم لم يحتمل ففارق الفنان الحياة محترقا بنارين : نار المعاناة ونار الحريق .

لم يكن لؤي كيالي وحيدا ، ولم تكن خسارتنا واحدة ، فبعد أسابيع قليلة من وفاته اختطف الموت فنانا آخر هو نعيم اسماعيل - مدير الفنون في وزارة الثقافة - الذي توقف قلبه عن الخفقان ، كما توقف من قبل قلب كل من أخويه أدهم اسماعيل وصدقي اسماعيل . وتتميز رسوم نديم اسماعيل في المضمون بايمانها بالانسان العربي وتفاؤلها بالثورة العربية ، وهي تستمد ألوانها من التراث والبيئة ، وتعتبر بأسلوب فني أدبي ، ينسج من الفن الاساطير والآثر التاريخية وصور الصمود والتصدي والاباء والكرامة .

نعيم اسماعيل خسارة أخرى فادحة للفن التشكيلي



الفنان نعيم اسماعيل



الفنان الراحل لؤي كيالي

من هو لؤي كيالي ؟

كتب الناقد التشكيلي صلاح الدين محمد فقال عنه : « واحد من القلائل الذين خلقوا توازنا حقيقيا بين مواقفهم الحياتية وفنهم ، تميز بالجدية والبحث عن الحقيقة ، عاش من أجل الفقراء وكرس حياته لهم . كان مناضلا حقيقيا ، وثوريا يؤمن بأمته حتى العشق ، وشموليا يحمل هموم كل شعوب العالم الضعيفة . كان انسانا حقيقيا لا يعرف المبالغة في حديثه ولا يحكي الا الحقيقة ، وترموترا للانسانية المذبذبة ، لا يخالف موعدا لو كلفه حياته ، وصاحب موقف عنيد لا يلين » .

في عام ١٩٦٥ قال عنه فيزنتيني بأنه : « وجه الحضارة العربية المعاصرة » ، هذا الوجه الذي عاد الى سورية بعد تحقيقه عدة نجاحات في إيطاليا خلال دراسته برز سريعا كواحد من المع الفنانين وأكثرهم تميزا بأسلوب واضح أصيل . وانفعل الفنان بالاحداث وأقام قبل حزيران ١٩٦٧ معرضه « في سبيل القضية » ليمجد صورة الانسان العربي ويرسم له طريق الخلاص . كان لؤي قد وصل الى توتر نفسي مذهل في تلك الآونة ، في حين نصب له « النقاد » المشانق واتهموه بالمباشرة . ذلك الفنان الذي فاز بالجائزة الاولى لمسابقة سيسليا ، والمداوية الذهبية لمسابقة رافينا ، والجائزة الثالثة لمسابقة مدينة كوبيو ، والثانية في مدينة الاتري . ذلك الفنان يصبح في وطنه عرضة للمزيفين والمدعين . وكانت النكسة ، وكان العلاج النفسي المتخلف لفنان رقيق يطالب بالعدل المطلق ، علاج مؤلم يدفع العاقل الى

الروحية ، فهي تبحث عن نقاء التعبير عن الاسارير
الحزينة أحيانا ، ولا تصل بالحزن الى البكاء أو الصراخ
بل الصمت المطلق والسكون الهادئ » .

ويبدو تأثر تارانتولا واضحا للمشاهد بفن عصر
النهضة ، وبأعمال ميكل انجلو وبوتشيللي وغيرهما .
ان أعمالها التصويرية قريبة من روح النحت القديم ،
بل تبدو شخصياتها الملائكية المرسومة وكأنها ما زالت
متعلقة بالفراغ وراءها ، كما تتعلق المنحوتات ببقايا
الحجر . في رسومها غنائية عذبة اللون ، وانسياب في
الخطوط ، وامتزاج بين الانسان والجو المحيط به في
خلفية اللوحة . هذه اللمسة المثالية الروحانية جعلت
معرض لورا تارانتولا يتميز عن المعارض الاجنبية الزائرة
- خصوصا من ايطاليا - حيث العقل أو الصرعة هما
السائدان على حساب ضمور الروح .

مع بداية هذا العام أيضا افتتح معرض فني
لرسوم الفنان جيمس لامانتيا أستاذ هندسة العمارة في
جامعة عمان ، وذلك في المركز الاميركي بدمشق . ضم
المعرض عددا من الرسوم التخطيطية التي تمثل مشاهد
مختلفة من دمشق والاردن ومصر القديمة . والسيد
لامانتيا حائز على جائزة روما ، وله معارض عدة في
أوروبا وأميركا .

كما افتتح في المركز الفرنسي معرض لفنان سوري
شاب هو نذير اسماعيل ، الذي يتميز بتجاربه الفنية
منذ زمن ، والذي يحاول التعبير عن أزمات الانسان
المعاصر بروح انسانية تؤمن بالمحبة . ورغم انه يرسم
عادة بألوان تميل للقمامة مأساة اغتراب وتمزق الانسان
في زماننا ، لكن هذا العذاب هو طريق خلاصه .

السوري والعربي ، وزهرة قصفت قبل الاوان . لقد
كان فنانا شفافا صادق الاحساس شديد الالتزام
بالواقع ، وموته خسارة أخرى فادحة لعلم من اعلام
فننا الحديث . نعيم اسماعيل من مواليد انطاكية عام
١٩٣٠ ، درس التصوير في استامبول ، ومارس التصوير
وفن الفسيفساء الجداري وتصميم الاغلفة والايخراج
والرسم الصحفيين ، كما درس في كلية الفنون الجميلة
وكلية هندسة التجارة .

معارض فنية :

ما دمنا في رحاب الفن التشكيلي لا بد من الاشارة
الى معرض الايطالية لورا تارانتولا ، هذا المعرض الذي
يتسم بشخصية متميزة بالشاعرية والرهافة والخيال
الانثوي . ولورا ولدت في روما ، وهي تمارس تدريس
الرسم والتصوير وتاريخ الفن والازياء في معاهدها
العليا . اقامت تارانتولا عشرة معارض فردية نظمت في
القصور والمتاحف الايطالية ، ونالت عددا من الجوائز
التقديرية منذ أن بدأت تعرض لوحاتها في ايطاليا والعالم
عام ١٩٦٣ ، وهي بشكل خاص مصممة تزيينات مسرحية
اضافة الى موهبة التصوير .

كتب الفنان السوري ممدوح قشلان مقدا المعرض:
« ان لورا من مجموعة الفنانين الشباب الاوروبيين
الذين يرفضون الانقياد خلف موضحة العصر والانجراف
في البحث عن جزئيات الاشكال أو تحليل الالوان بالمواد
المختلفة ، لم تقف عند حدود التقنية للمادة بل ان ما
يشغل بالها هو مسيرة القلق الانساني والانغماس المادي
والصراع النفسي ومختلف الاحاسيس الانسانية



الفنانة الايطالية لورا تارانتولا

الانقلاب الأبيض للشعر :



« راشومون »

وتتجسد فصول الحكاية ، كل مرة من وجهة نظر : قاطع الطريق ، ثم الزوجة ، ثم روح الزوج ، وأخيرا الخطاب الذي شهد الاحداث خفية وأنكر ، لانه سرق سيف الزوج الفضي . كل منهم كان يحاول اضعاف النبيل والشرف والبطولة على موقفه ، ولكن كل منهم كان في أعماقه على عكس الصورة التي يظهر ، جباناً وأنايباً وخسيساً . حتى الخطاب قد كذب وشهد زوراً . هذا هو موضع سخرية صانع الشعر المستعار الذي يهاجمه بتهكمه اللاذع هو والكاهن ، مؤكداً على فلسفته السلبية في الحياة وعدم ايمانه بالانسان . ويعثر الثلاثة على طفل لقيط في الغابة ، وبينما يسرق صانع الشعر المستعار بطانية الطفل الصوفية مبرراً لنفسه تلك الجريمة ، يحتضن الخطاب الفقير ليؤويه ويربيه . أما الكاهن فيمضي في طريقه وقد آمن ان درب الخلاص ليس في عزلة الاديبة بل في الاحتكاك بالبشر وملامسة همومهم . ان الخطاب هو نموذج الانسان الذي يخطيء ولكن لانه وأولاده جائعون ، أما في أعماقه فهو أنبلهم جميعاً وأشدهم انسانية .

أخرج المسرحية محمد الطيب معيدا الى الأذهان أعماله القديمة الموفقة في المسرح القومي قبل ان يتردى ولفترة طويلة في أعمال هابطة للمسرح التجاري . ضمن الامكانات التقنية المتاحة كان المعرض مقبولا ، هادىء الاخراج ، معتمدا على دقة الالتقاء وتوصيل المعنى ، متحليا بجماليات واقعية تفصيلية في الديكور والازياء .

الا ان الاخراج كان يفتقر الى تفسير النص تفسيراً معاصراً له سمته التقدمية ، فظل محايداً الى حد كبير . كما تسرب الملل الى العرض أحيانا بسبب جمود المشهد وبطء الايقاع ، وحشرت لمسة كوميدية في غير موضعها لتدغدغ الجمهور فيما يرغب أن يسمعه من عبارات رجعية على لسان صانع الشعر المستعار ضد المرأة وبينما كانت المشاهد الدرامية معقولة ، وبسيطة الحلول ،

شهدت دمشق تظاهرتين كبيرتين تحية للشعر . وذلك من خالز امسية الشاعر العراقي الكبير محمد مهدي الجواهري . وامسية لموهبه الشعر الحديث الاولى محمود درويش . اعاد الجمهور السوري المنقطع والعازف عن حضور الامسيات التقليدية التي تقيمها المراكز الثقافية واتحاد الكتاب ، اعاد الى الذهن احتفالات عكاظ التي نقرأ عنها في كتب التاريخ ، حين احتضن بمحبة وحماسة امسية الجواهري وتفاعل مع حيوية القائه وقوة شعره . رغم انه كان شعر مناسبة . ولم يكن حظ الشعر الحديث باقل من حظ الشعر العمودي ، فاذا كان مسرح الحمراء قد امتلأ بمستمعي الجواهري ، فقد غص مسرح كليسة الهندسة بأكبر جمهور على الاطلاق تشهده دمشق لسماح أشعار محمود درويش ، حتى تعذر على الشاعر احياء الامسية ، فنقلت على الفور مع جمهور ينوف على ثلاثة آلاف مستمع الى ملعب مغطى لكرة السلة ضاق على اتساعه بهذا الحشد الهائل الذي استمع وتجاوب مع قصائد محمود درويش الاخيرة .

كان في هاتين الامسيتين درس كبير للشعراء العرب حول جماهيرية الشعر ، رغم صعوبته الكلاسيكية او حداثته التجديدية ، اذا كان شعرا جيدا يحمل هموم المرحلة ويعبر عن الامس القومي لامتنا العربية ، دون حذلقه او افتعال . كان الشهر الماضي بالفعل احتفالا شعريا عظيماً ، بحيث احتل الشعر الساحة دون مقاومة محققا انقلاباً ابيض بعد طول افول . هذا الدرس كان ممكناً ان يتحقق مع أسماء مغمورة لو أجيد تقديمها والاعلان عنها للجمهور العريض . يومها يصبح الحديث وارداً عن دور الشعر في الحياة .

الاضواء تخبو على المسرح السوري :

نزل الستار مؤخراً على مسرحيتين : « راشومون » المسرح القومي التي اعدتها مسرحيا الزوجان الاميركيان فاي ومايكل كاتين عن قصتين للكاتب الياباني اكاتاجوا ، و « انسوا هيروسترات » التي قدمتها فرقة المسرح العسكري في دار للسينما بعد احتراق مبنى المسرح .

« راشومون » هي مسرحية البحث عن الحقيقة ، ومحاولة للامساك بجوهرها . لكن الحقيقة ذات اوجه عدة ، ولكل انسان حقيقته من خلال موقعه الطبقي ومصالحه الشخصية . انها حكاية قاطع طريق يعترض في الغابة فارس ساموراي وزوجته ، يخدعه ويقيده ثم يغتصب الزوجة . هذه الحكاية يستعيدتها ثلاثة - احتموا من المطر في الغابة تحت بوابة قديمة هي بوابة راشومون - كما جرت في محكمة البلدة بعد العثور على الزوج مقتولا بسيفه والزوجة تبكي ممزقة الثياب .



((الاقنعة))

كانت المبارزتان ضعيفتين جداً . ولولا جودة التمثيل عند منى واصف ، عدنان بركات ، رياض نحاس . فيلدا سمور ، لما أمكن للمعرض أن يصمد بهذه الصورة ، وبهذا الطموح الصعب لواقعية ماتت منذ زمن في المسرح المعاصر .

إذا كانت « راشومون » عرضاً مقبولاً يعيد الثقة إلينا بإمكانات المسرح القومي وبقدرات ممثليه ، فإن « انسوا هيروسترات » عرض لا بأس به أيضاً لفرقة هي بين الهواة والمحترفين ، ولاخراج هو العمل الاول للمخرج الشاب فؤاد الراشد اثر تخرجه من الاتحاد السوفياتي . مسرحية غريغوري غورين هذه تروي قصة قديمة من عهد الرومان عن رجل شريد أحرق المعبد ونال لعنة الجميع ، لكنه تمكن بدهائه ونتيجة لتحلل الدولة والمجتمع في ان ينتزع الحياة، وأن يرغم خصومه على الخضوع لارادته الشريرة وهو سجين . أما الرجل الوحيد الذي يقف ضده فهو القاضي . انه يفهم ان انتصار هيروسترات وذاكرة التاريخ التي تحفظ الشر هي النخر الذي يدب في هيكل الامبراطورية ، والذي سيؤدي الى خرابها . انه يترك منصبه ليصبح حارس هيروسترات في سجنه ، ولكن ليكتشف ان المرابي والملكة والامبراطور والجماهير قد أصبحوا بأساليب شتى ، ونتيجة لطموحاتهم الفردية ، أسرى خطة هيروسترات . ويسقط القاضي ضحية لطعنة السجين الشرير في النص الاصلي ، بينما يجعله المخرج يتابع الصراع مع الشر دون غالب أو مغلوب .

افتقر الاخراج للكوميديا الناجحة ، بينما كانت حركة الممثلين فراذى متقنة ومعبرة ، وفيها كثير من التجديد في أسلوب الأداء المسرحي . بوجه عام كان العرض في مستوى متوسط أو يزيد ، الا ان التمثيل لم يكن بمستوى مقبول عند بعض المشتركين ، قلائل فقط برزوا بإمكانات تلفت النظر ، وبتفاوت واضح مع الباقين .

قبل فترة أيضاً أسدل الستار عن مسرحية « الاقنعة » من تأليف واخراج علي عقلة عرسان ، وكانت تراجعا في مستوى التأليف المسرحي عنده وعلى الخارطة الادبية عموماً . هذا غريب الى حد ما اذا علمنا ان عرسان أصدر كتاباً ضخماً الحجم مؤخراً عن المسرح العالمي باسم « سياسة في المسرح » ، فيه محاولات لاقتحام تفسيرات غير مدعومة أو مبررة لعدد من أقطاب المسرح كسوفوكليس وبرشت . يلتفت عرسان في مسرحيته « الاقنعة » الى الداخل بعد أن كرس بعض مسرحياته السابقة لمسألة المواجهة في الصراع مع عدو خارجي (الفلسطينيين - الغرباء) . هنا يتابع ما بدأه في (الشيخ والطريق) واستمر به في (السجين ٩٥) و (عراضة الخصوم) من طروحات أخلاقية اصلاحية

تستصرخ عواطفنا وقيمنا ، وتدين مظاهر النفاق والزيف في الشعارات والمبادئ والتقاليد الاجتماعية . انها مسرحية تحمل دون شك كثيراً من النوايا الطيبة ، فمؤلفها يعمل مبضعه في جسد وطن مريض بتزييف كل شيء ، حتى الالم الانساني . والمؤلف يفعل ذلك من خلال رؤية ذهن أخلاقي مثقف ، وعبر لغة نثرية شديدة الفصاحة تصل أحيانا الى الشعر . ان الحياة أصبحت « اما قناعاً من غير حياة أو حياة من غير حياة » . المسرحية اذن صرخة لوقف التصدع والانهيال ، وجهد للملئة شتات الذات العربية . ان بطل عرسان يقول ما معناه : لم أعد أرغب أن أجمع الناس حول نفسي ، بل أن أجمع نفسي حول محورها . انها حياة تدفع الى الجنون ، وتفرق (أنيس) في الخمرة والهديان . عندما يحاول انسان أن يستعيد وجهه وأن يعود انساناً معبراً عن حقيقته دون زيف ، تحاصره الاقنعة وتجبره على أن يبقى خرتيتاً في مجتمع الخراثيت ، كأنسا وجهه الانساني ، قانعاً بحياة المذلة . ان (أنيس) يكتشف - ولكن متأخراً - انه بلا قبضات يقدو مثل ذبابة ، وانهم قادرون على تغييره تحت أقدامهم حين يشتد خطر اكتشافه .

بين الذهن والواقع يختار عرسان الذهن . من هذا الذهن تتفتق صور الواقع وتأثيراته . هذا مشروع طبعاً لو أبقى مسرحيته في اطار الافكار الشعرية والرموز ، لكن مشكلة المسرحية تبدأ عندما يحاول عرسان - مؤلفاً ومخرجاً - اقناعنا بأن هذا القناع هو واقع . لقد اعتدنا في الادب الحديث أن نواجه شخصيات واقعية في ظروف غير واقعية (كما في قصص ادغار آلن بو وروايات كافكا ومسرحيات سترندبرغ وبيكيت) . أما عند عرسان فنحن نواجه شخصيات ذهنية في ثياب واقعية ، مما يجعل لغة المسرحية نابعة من ذهن المؤلف ، وليس من واقع وتكون الشخصية ، بينما يسرف في واقعية شخصيات أخرى . هنا يختل

نجاح العطار ، وتضمن الاسبوع عرض أفلام طويلة من تاريخ السينما السورية والقاء محاضرات في المراكز الثقافية في المحافظات واقامة معرضين أحدهما تقني والثاني للكتاب السينمائي السوري . وقد كرمت الدولة رسميا السينمائيين الأوائل بحضور مدير المؤسسة العامة للسينما محمد شاهين ، وهم السادة :

أيوب بدري - اسماعيل اندور - رشيد جلال -
نزيه الشهنندر - أحمد عرفان - بشير كركوتلي -
جوزيف فهدة - وزهير الشوا .

أما في النادي السينمائي بدمشق فكان أبرز ما عرض في الفترة الاخيرة فيلم «عيادة الدكتور كاليغاري» من المدرسة الالمانية التعبيرية القديمة ، و « الملياردير » من اخراج الفرنسي رينيه كلير ، وهو من الواقعية النقدية الشاعرية الساخرة .

ويتميز هذا الفيلم بين أفلام كلير بأنه يلجأ للخيال ويفترض بلدا غير موجود على الخارطة ، يعتمد على المقامرة والحياة الاستهلاكية . انه فيلم من روائع الكوميديا الراقية في تاريخ السينما .

مطبوعات جديدة :

من أبرز المطبوعات الجديدة الصادرة عن وزارة الثقافة والارشاد القومي « الواقعية في النقد العربي الحديث » للناقد حنا عبود ، مجموعة « الضيف » للقاص الشاب محمود عبد الواحد ، ديوان شعري لعادل محمود (الذي نعرفه قاصا شابا وصحفيًا موهوبا) . من الكتب الهامة الاخرى كتاب عن الادب الصهيوني في اميركا للدكتور منير صلاحى الاصبحي ، وديوان شعر بعنوان « القيد البشري » لأحمد يوسف ، ومسرحيات لوليد اخلاصي بعنوان « سبعة أصوات خسنة » .

أما عن اتحاد الكتاب فصدرت رواية « النقيض » لأفنان القاسم ، ومجموعة قصص جديدة لمحمد الزفزاف ، وديوان شعر « أيها الزمان الضيق ابتها الأرض الواسعة » لنزيه أبو عفش . وهذه المطبوعات الاخيرة هي عودة الى التوازن والمستوى المعقول بعد أن أصبح اتحاد الكتاب « تكية » للمواهب الضعيفة والاسماء التقليدية التي تنفض عنها غبار الزمن وتعلن عن وجودها الهامشي كسبا للاصوات في الانتخابات الادارية القادمة للاتحاد . على كل حال ، هذا ما سيكون موضوع رسالة قادمة .

التوازن ، ونحار بين الاقتناع بالواقع وبين النظرة الفكرية نحو مجردات هي بمثابة خلق جديد يوازيه . لكن الاقتناع والترابط يظلان بعدي المنال ، لتبقى المسرحية بمجملها عبارة عن نوايا اخلاقية وعظمية طيبة . وتزداد المشكلة تضخما من خلال افتقار المسرحية لوحدة الاسلوب سواء في المنهج أو في اللغة . ان « الاقتعة » تسيّر في اتجاهين متعارضين يدفاننا الى الحيرة امام الابهام ، ويحيلاننا من الواقع الى الافكار ، ويسرلان الوضوح بالمعميات . لو كان هذا ضرورة من أجل تحقيق عمق فكري أو فلسفي أو نفسي أو شعري لقبلسناه ، لكن مضمون المسرحية بسيط وتعليمي وجدير بالتوصيل السهل الى الناس ، ولعبة الشكل في هذه الحالة عقبة تحول دون ذلك . المسرحية بوجه عام وسطية في الفكر، ذات منحى مثالي اخلاقي ، فيها تعال في مخاطبة الجمهور وتوجه الى السلطة بضرورة الاصلاح . أما دراميا فهي أشبه بمونولوج في معظم اجزائها ، ورسم الشخصيات فيها يفتقر الى الدقة والاقتناع ، ويتراوح بين الرمز والواقع . ولولا جودة التمثيل عند بطلها الفنان يوسف حنا والفنانة ثراء دبسي والفنانة أميمة الطاهر ، ولولا بعض اللمحات الجمالية المجددة في الاخراج هنا وهناك ، لسقط العرض نتيجة لضعف المعالجة في النص للفكرة الجيدة . لقد كان العرض بوجه عام مملا كالعادة في معظم أعمال عرسان ، يتسم بالانشائية والوعظ . ولذلك يبدو أن الاتجاه مال نحو تقديم نصوص عالية سنتحدث عنها في مقال لاحق ، ومن أبرزها « دون كيشوت » التي تجري عليها التدريبات حاليا .

« السيد التقدمي » وواقع السينما السورية :

بعد احتجاج يزيد عن سنتين يعرض الفيلم الروائي السوري « السيد التقدمي » من اخراج نبيل المالح عن قصة بوليسية قصيرة ، وهو فيلم بالالوان عن صراع بين شخصية سياسية تؤمن مركزها في الدولة وتنال تأييدا جماهيريا في الانتخابات بوسائل اجرامية غير مشروعة ، وبين صحفي تقدمي شاب يحاول فضحه . وقد سمح بعرض الفيلم بعد سياسة الانفتاح الثقافي ، وازالة العراقيل التي تؤخر الانتاج السينمائي ووصوله الى الناس لاسباب غير موضوعية . الفيلم مثير وجماهيري صورت أحداثه في لبنان .

أتى هذا عقب الاحتفال باليوبيل الذهبي للسينما السورية تحت رعاية السيدة وزيرة الثقافة الدكتورة